انتقام من العالم الآخر

استيقظت في ليلة؛ كانت أشد ليالِ الشتاء برودة، لم أكن متعلقًا بالغطاء فقط، بل أشعر أن الغطاء قد أصبح قطعة مني، إنه لايفارق جسدي النحيل، وكأن هناك يد خفية قد امتدت إلى غطائي لترفعه عني، نعم أشعر بتلك البرودة تسري فى عروقي.. أنفاسي تتقطع، وأناملي تتيبس، وبالكاد أستطيع أن ألتقط وألملم شتاتي، هناك شيئٌ يدور حولي ولكن بالطبع لا أجرؤ على أن أرفع غطائي عني لأكتشف مايحدث.. فضلت التجاهل، إنه أسلوبٌ قد ينجح في بعض الأحيان، ولكن حظي العاثر لم يساعدني هذه المرة، وفجأة امتدت تلك البرودة إلى قدمي.. نعم إنها تقبض عليهما الآن، وأنا بالطبع قد توقف عقلي عن العمل في تلك اللحظة، إنها ترتفع من تحت الغطاء وتقترب نحوي.. جحظت عيناي من هول مارأيت.. نعم إنه وجه أسود عتيم، وعينان تتوهجان في ظلام الليل هل مايحدث حقيقة؟ أم أنه مجرد كابوس ودرب من دروب الأحلام ومتاهات العقل؟ أم أنني أُكَذِّبُ عينيَّ، ومايقف أمامي الآن هو جنيٌّ، وسأقضي ليلتي معه، ولن يكون هناك سوانا! لا أعلم مايريده، ولكن ما أعلمه جيدًا؛ أنني لن أقضي أفضل أوقاتي..

أغمضتُ عينيَّ وتمنيت أن تمضي تلك الليلة، لايهمنى ماحدث، فقط أريد أن أرى ضوء الشمس، وبالفعل جاء الصباح لا أعلم كيف؟ ولا أين ذهب ذلك الكائن!

الذي يهمني الآن أن أخرج من هنا، وعلى غير العادة تناولت ملابسي، أرتديها وأنا أخطو إلى الخارج، ليس في عقلي شيئ سوى ماحدث بالأمس، تُرى هل هو حقيقة.. أم مجرد أوهام وخيالات من صنع عقلي، وانطلقت مسرع الخطوات إلى عملي، ولم أكن في التركيز الذي يسمح لي بأداء أيًا من مهام عملي؛ فحالة الشرود التي لاحظها الجميع واضحة علي.

انتهى الدوام، وكنت في حاله من الصعب معها العودة إلى شقتي، خاصةً وأنا أسكن وحيدًا، وكان الاختيار الأمثل وقتها؛ هو الذهاب إلى منزل أختي، وعلى ذلك توجهت إليها، كنت في احتياج شديد إلى النوم والراحة، وفي المساء كانت ملامح أختى تظهر عليها الحيرة، وعلى وجهها ترتسم علامات استفهام كثيرة، وجلسنا نتناول العشاء أنا وأختى وابنتاها؛ لأن زوجها متوفي، وبعد الانتهاء من العشاء؛ جلسنا أنا وأختى في غرفة الجلوس، في حين أن ابنتيها ذهبتا إلى غرفتهما للنوم، ولم أجد مفر من أن أقص على أختي ماحدث لي بالأمس، وكانت حدقتي عينيها تتسعان من هول ما أرويه، وباتت تشعر بالقلق وقالت لي أن وجودي معهم حاليًا بات ضروريًا؛ لحين فهم ماحدث ومعرفة تفسير له. وانتزعتنا من ثباتنا صرخه مكتومة صادرة من غرفة البنات، انطلقنا على أثرها إلى الغرفة، فوجدنا إحدى البنات تجلس في زاوية الغرفة وترتعش، وعيناها متسعتان وصراخها متواصل، حاولنا تهدئتها لمعرفة ماحدث دون جدوى، فاتصلت أختي بأحد الأطباء، حضر الطبيب بالفعل وأعطاها حقنة مهدئة، نامت بعدها، وكانت أختها لاتعلم عن ماحدث لها شيئ، وقالت أنها استيقظت من نومها على صرخات أختها، ولا تعرف سببًا لذلك.

أصبح ماحدث وسبب الهلع؛ سره معها، وهي الآن تغط في سبات عميق، انشغلت بما حدث لابنة أختي، ونسيت ماحدث لي قبلها، وفي الصباح كنا لانزال مستيقظين في انتظار أن تستفيق ابنة أختي، وما أن استفاقت حتى انطلقت أختى توجه لها الأسئلة، السؤال تلو الآخر، والبنت لاتجد سبيلًا للرد عليها، قلتُ لها دعينا نُهَدىء من روعها أولًا، ثم بعدها سنعرف ما حدث.

لم يكن ذلك بالشيئ السهل على طفلة في العاشرة من عمرها، وما أن هدأت؛ حتى بدأت تقص علينا ماحدث لها: "كنت أستعد للذهاب للنوم، عندها وجدت أن الغطاء يتم سحبه من فوقي، اعتقدت في بادئ الأمر أنها أختي، وكنت سأوبخها على ماتفعل، إلا أننى صُعِقتُ عندما رأيتها نائمة على سريرها بجواري، لم أحتمل ذلك، فصرخت بأعلى صوت حتى أتيتم، ولم أرَ شيئًا غير ذلك".. قالتها وأنفاسها تتقطع كما لو أنها تصعد إلى مكان مرتفع، لم يكن أمامنا أنا ووالدتها سوى طمأنتها حتى تستطيع الفتاة النوم ونسيان ماحدث، وبالفعل كانت كلماتنا هي طوق النجاة لها لتحدث نفسها بأن ماحدث لها كان مجرد حلم مزعج.

مرت علينا الساعات حتى أتى الليل، لانعلم كيف، ولكن كان عقلي يفكر ولايجد تفسيرًا وأختى شاردة، وأعلم سبب ذلك.

ولكن مهلًا.. هل مايحدث بسبب تلك الواقعة! نعم.. إنهم جاءوا للانتقام، كنت أعلم أن ذلك سيحدث آجلًا أم عاجلًا، بطريقة ما، إنها تلك الليلة التي كنت أقود سيارتي على ذلك الطريق الذي حذرني منه صديقى، وكانت ليلة صعبة بكل المقاييس، وكنت لاأعتقد في أشياء من هذا القبيل، عندما فاجأني شخصٌ أو شيئٌ ما واقفًا في منتصف الطريق، لم

أستطع حينها أن أوقف السيارة في الوقت المناسب، فاصطدمت به بشدة، ولم يكن أمامي سوى النزول من السيارة للاطمئنان عليه، ولكني صُعقت عندما بحثت فلم أجد أحدًا! شيئٌ لايصدقه عقل! فمن تعرض لصدمة مثل هذه؛ ليس من السهل عليه التحرك بهذه السرعة، ارتعبت إلى حد كبير مما حدث وغادرت المكان مسرعًا، وعندما قصصت ماحدث على صديقٍ لي؛ انزعج بشدة وحذرني من أن ماحدث ليس بالأمر الهين الذي من الممكن تداركه، وقال لي جمله لايمكن نسيانها " إنهم لن يتركوك".

تذكر عقلي ماحدث كما لو أنه حدث بالأمس، رغم مرور مدة ليست بالقليلة عليه، وبينما كنا نجلس أنا وأختى بغرفة الجلوس والفتاتان كانتا قد ذهبتا للنوم، وفجأة انتزعنا من سباتنا صرخات تأتي من غرفة الفتاتين! لكن هذه المرة ليست كسابقتها، انطلقنا نعدو إلى غرفة الفتيات، لكن مارأيناه كان يتعدى حدود العقل والتفكير، نعم.. إنه ذلك الكائن الذي قضيت معه تلك الليلة، لكن الآن لم يكن معي وحدي ولكن يحاول جذب ابنة أختي ونحن نقف متجمدين الأطراف من هول مانرى، ولكن أختى كأي أم لن تقف تشاهد ابنتها تُختَطَف دون أن تُحرك ساكنًا، حتى ولو من قبل كائن لا نعلم كينونته، انطلقت ممسكة بابنتها؛ محاولةً أن تخلصها من قبضته، وأنا رغم عدم قدرتي الواضحة على الحركة؛ إلا أني حاولت أن أساعدها، واستمرينا في جذبها نحونا.. وبالفعل نجحنا في تحريرها منه، وأخذتها أختي بين ذراعيها وأنا واقفٌ؛ ترتسم على وجهي علامة النصر، ولكن كان لذلك الكائن رأيٌ آخر.. فقد انقضت قبضته على قدمي تعتصرها، محاولًا جذبي إلى أسفل، وهو يضحك بشكل مفزع، ولكن الغريب في الأمر أنني لم أكن أقاوم! بل كنت

مستسلمًا تمامًا فأنا أعلم سبب ذلك، ولن أدع أحدًا آخر يدفع ثمن خطئي، كنت أنتظر وأعلم أن شيئًا ما سيحدث، وهاهو يتحقق الآن.

إنه يأخذني بالتأكيد إلى خارج عالمي، نعم.. فقد حان موعد محاكمتي في عالمٍ آخر.

تمت

بقلم / شحاته سعد احمد